العدد (1501) السنة السادسة - الخميس (7) أيار 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

بريطانيا تنهي وجودها العسكري في العراق

ترجمة: علاء خالد غزالة

تُليت الاسماء الواحد تلو الآخر بينما كان عازف البوق ينشد لحنا حزينا. لقد حفل الوداع الاخير للعراق بتذكر اولئك الذين لم يستطيعوا ان يعودوا الى الوطن.

وفي لندن، اعلن رئيس الوزراء، غولدن براون، نهاية العمليات القتالية رسميا، في صراع استمر اكثر من الحربين العالميتين. اما في البصرة، فقد كانت الانزع تمتد لعناصر القوات البريطانية تودعهم بحزن بينما كانوا يقومون بآخر دورياتهم على امتداد الشوارع التي خاضوا فيها معارك حامية، وفقدوا فيها رفاقهم.

وكان التورط البريطاني في العراق قد ابتدأ حين اشترك توني بلير مع جورج دبليو بوش في غزوه للعراق، الا انه انتهى يوم امس بنفس الارتباط الاميركي. وتم تسليم السلطة العسكرية في البصرة الى القوات الامريكية المؤلفة من ٥،٠٠٠ جندي، وهم الذين سوف يحلون محل القوات البريطانية التي كان تعدادها ٣،٨٠٠ عسكري.

وكان هناك شعور بين افراد القوات البريطانية في العراق منذ وقت طويل، بعد ان ارسلوا الى حرب لا تحظى بدعم شعبي، بان الناس لم يتفهموا طبيعة التحديات التي يواجهونها، وما قاموا بانجازه. يقول احد الضباط الشباب، والذي خدم ثلاث مرات هنا: "لقد ساهمت جدتي في المسيرات المناهضة للاحتلال. وكانت لدي شخصيا شكوك قوية ايضا. لكننا كجنود علينا أن نتبع الأوامر، وكل ما ينبغي علينا فعله هو ان نقدم افضل ما نستطيع، وان لا نسيء استخدام قوتنا. اعتقد اننا فعلنا اشياء جيدة في البصرة، لكني استطيع تفهم السبب في عدم رغبة العراقيين بوجود قوات اجنبية في بلدهم."

وفي حفل التأبين يوم امس الذي اقيم امام حائط يحمل اسماء القتلى، بدا ان هناك عزما جديا على عدم نسيان هذه التضحيات، في اقل تقدير. وقام الرفاق بتلاوة اسماء ٢٣٤ من البريطانيين والقوات المتحالفة معها، بالاضافة الى المتوفين من المدنيين، بعزيمة وتحد.

وقال الاسقف العسكري الاب باسكال هانرانهام، خلال حفل التأبين الذي دام لساعة من الزمن: "كل اسم هو فريد، وكل اسم يخبر قصة. قصة ابن او ابنة، زوج او زوجة، اب او ام. كل اسم سوف يستدعي ذكريات قوية، ليس اقلها لدى العائلة والمحبين في الوطن." عزف البوقي لحن "المهمة الاخيرة"، بينما كانت طائرات التورنادو تزأر وهي تحلق بمستوى منخفض. ومن ثم، في تمام الساعة ٢:٤٦ مساءا انزل العلم الخاص بالفرقة المدرعة العشرين البريطانية، وهي آخر القوات القتالية المتبقية في العراق، وسط تهليل وتصفيق متقطع بين البريطانيين والاميركيين والوجهاء العراقيين. لقد انتهت المهمة العسكرية البريطانية رسميا.

ولا يمكن اغفال تغيب غولدن براون الذي كان في افغانستان وباكستان قبل ٢٤ ساعة من هذا الاحتفال. وقد ترددت خفية اقوال بانه يريد ان يبتعد عن تلك المهمة التي علقت في شراك التجادل. بيد ان وزير الدفاع البريطاني، جون هوتون، الذي حظر الاحتفال فعلا، قال ان السيد براون لم يكن يتجاهل العراق، حيث انه التقى رئيس الوزراء نوري المالكي في لندن.

وقال وزير الدفاع ان تحقيقا سوف يفتح في المستقبل لتقييم التورط البريطاني في العراق، لكن علينا في هذا الوقت ان "نفتخر بقواتنا. فهم الافضل في العالم، ويجب ان نكون جدا فخورين بما حققوه من تمكين العراقيين في بناء الديمقراطية."

وكان اكثر من ١٥،٠٠٠ عنصر في الجيش البريطاني قد خدموا في العراق. وسوف يتم تحويل القاعدة في مطار البصرة الى فندق، بينما سيضم المقر الاميركي الجديد حفنة من عناصر الجيش البريطاني. ستكون طبعات اقدام المملكة المتحدة على الرمال العراقية في المستقبل تجارية وسياسية، وهو احد اسباب استضافة السيد المالكي ومعظم وزراء الحكومة العراقية في مؤتمر تجاري في لندن.

يقول نايجل هايدوود، القنصل العام البريطاني: "لقد بدأ دورنا في التغير، ولن يكون عسكريا بعد الان. لكننا عملنا الكثير من الاستثمارات في هذا المكان وننوي بكل تأكيد ان يكون لنا وجود مؤثر هنا. يمتلك العراق مستقبلا اقتصاديا نابضا، ونحن نساعد في بنائه."

تمتلك البصرة حوالي ٧٠ بالمائة من الاحتياطي النفطي العراقي، رغم أن تدني أسعار النفط يعني انه يتوجب تخفيض ميزانية المحافظات الى النصف. لكن ميناء ام قصر، حيث سيبقى فريق من البحرية الملكية لتدريب نظرائهم من العراقيين، هو مثال على الامكانية المستقبلية للاقتصاد العراقي، مع احتمال ان يتحول الى منطقة للتبادل التجاري الحر للمنطقة باسرها. وقام السيد هوتون بزيارة ام قصر قبل ان يضع باقة من الزهور على ضريح الشهداء في منطقة الحيانية بمدينة البصرة، والذي كان مخصصا لضحايا "علي الكيمياوي."

وتعد منطقة الحيانية من المناطق المعروفة للبريطانيين. فقد كانت معقلا للمليشيات ومن ثم صارت مسرحا للكمائن ضد الدوريات البريطانية وموقع اطلاق قذائف الهاون والصواريخ على مقرهم في مطار البصرة.

على كل حال، فان بادرة السيد هوتون تؤكد على الدور البريطاني في تحرير العراق من نظام صدام، وهو ما يكن له في جنوب العراق، على وجه الخصوص، الشكر والعرفان. بيد ان الاضطراب الذي اعقب الغزو في عام ٢٠٠٣ قد ادى الى وقوع الكثير من الضحايا

اذ فقد حاكم علي ابراهيمي، البالغ ٥٨ عاما من العمر، اثنين من افراد عائلته في اعمال العنف قبل وبعد الحرب، كما تعرض هو نفسه الى السجن من قبل الشرطة السرية. يقول: "بدأ البريطانيون بشكل حسن في العراق وقد رحب بهم معظمنا حينما جاءوا. وكنا نكن التقدير اليهم لانهم لم يكونوا عدوانيين مثل الاميركيين، كما انهم احترموا حضارتنا. لكنهم سمحوا للمليشيات بان تكبر بحيث لم يعد بالامكان السيطرة عليها، ثم عانينا."

لا يستطيع هاني القادر، المعلم الذي لديه ست ابناء، ان يفهم كيف انه بعد مرور ستة اعوام من اعلان بوش النصر في الحرب رسميا، مازالت كهرباء المدينة غير صالحة. لكنه يقول: "غير إننا لا نستطيع ان نلوم البريطانيين والاميركيين فقط، فماذا عن سياسيينا ؟ الآن مع رحيل البريطانيين يتوجب علينا ان ننظر في انفسنا."

البصرة بالأرقام

٣،٣٠٢ هو اقل تقدير لعدد العراقيين الذين قتلوا في البصرة منذ بداية الحرب. وقتل ١٧٩ جنديا بريطانيا في العراق.

٥١٪ نسبة الاقبال على التصويت في الانتخابات المحلية التي اجريت هذا العام

هجومان صاروخيان على قاعدة المطار هذا العام مقارنة بـ ٤٠٠ هجوم في العام ٢٠٠٥.

عن الاندبندنت

أطفال البصرة يتعلمون العيش مع الأمل

ترجمة: المدى

أدت ثلاثون عاما من الحروب الى ازهاق ارواح عدد كبير جدا من الناس، بحيث اضحى نصف تعداد السكان من هذه المدينة من الأطفال حيث يتحدث مارتن جولف عن العنف المرعب الذي عاشوا فيه، وكيف يحلمون اليوم، مع تحسن الوضع الامني، في الهروب من الفقر والعيش في حياة طبيعية من العمل واللعب بسلام.

من المعروف عن الاطفال في العراق انهم يكبرون قبل عمرهم، لكن الطفولة في البصرة، على مدى ثلاثة اجيال، ليست الا لمحة قصيرة من الزمن.

ومع انتهاء الاحتلال، الذي كان يفترض ان يغير ولو جزئيا من هذا الواقع، فان حماة مستقبل البصرة اليافعين يتكلمون بايجابية عن السنوات القادمة.

غالبا ما تترك المليشيات، التي تفشت في البصرة في معظم فترة السنوات السابقة، الاطفال لشأنهم، غير ان حياتهم العائلية وتعليمهم قد تأثرا بشكل كبير. واليوم، بعد ان القى الاستقرار النسبي بظلاله عليهم فان اطفال المدينة يشعرون بحرية اكثر من اية فئة اخرى في مجتمع المدينة، وبالخصوص النساء، في الحديث عن حيواتهم واحلامهم.

وقد رحب الاولاد –تحديدا– بالملاعب الجديدة التي اتيحت لهم بعد العمليات العسكرية التي طهرت المدينة قبل ١٣ شهرا، وهم الذين طالما امضوا وقتهم في لعب كرة القدم في الشوارع. اما البنات، فهن يتحدثن عن امضاء المزيد من الوقت في المدرسة.

من الصعب الحصول على مؤشرات اجتماعية ذات دلالة في هذه المدينة التي بالكاد اقامت عماد نفسها على مدى عقود من الزمن. غير ان شذرات من احصاءات حول القطاعين الصحي والتعليمي، وهما الاكثر تأثيرا على الاطفال، تبين انهما كانا القطاعين الاكثر اهمالا من غيرهما من الخدمات في خضم سنوات العنف.

وقد ادعى المسؤولون الصحيون في عام ٢٠٠٦ ان نسبة الامراض التي تنتقل عن طريق الماء قد ازدادت بين الاطفال بنسبة ٣٠٪ منذ بداية الحرب. كما ارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال الرضع بحدة.

اما ارقام الايتام في المدينة وحولها فقد كانت اكبر بكثير من المعتاد، وذلك يعود بالدرجة الاساس الى الحرب العراقية–الايرانية، التي حصدت ارواح رجال المدينة لمدة تقرب من عقد من الزمان، والتي انتهت عام ١٩٨٨. وقد كانت جبهات القتال الامامية على مسافة ليس ببعيدة عن شمال شرق المدينة في معظم سنين الحرب.

وقد ازهقت ارواح اكثر من ٦٠٠،٠٠٠ من العراقيين في تلك الحرب، والكثير منهم من البصرة. غير ان حرب الخليج عام ١٩٩١ ادت الى ازهاق ارواح عدد كبير آخر، يضاف الى ذلك اعمال الانتقام الوحشية التي مارسها نظام صدام فيما بعد ذلك. واليوم، تجد الاطفال في كل مكان في البصرة، يقفون على ابواب خربة وهم يرتدون ملابس رثة، قد اضحوا سكان المدينة الاكثر هجرا، نموذجا للجوع والحرمان، لم يبق لهم الا امل ضئيل في الترفع عن ظروفهم.

تبقى ملاجيء الأيتام في احتياج مستمر، غير ان الطعام فيها جيد. فالطفلة صبيحة احمد ذات الاثني عشر ربيعا عاشت في الملجأ لمدة ثلاثة اعوام وتشعر بايجابية حول الحياة في البصرة. تقول: "استطيع ان اغني والعب وادرس. حياتي في تحسن مستمر وكذلك مدينة البصرة. اينما اذهب في المدينة اشاهد بنايات جديدة، والوان مختلفة، ومتنزهات جديدة، وعشب اخضر، ومطاعم. اريد ان يكون هذا هو مستقبل العراق."

لكن مازال امام مشاريع الاعانة الجديدة وخطط الاعمار، على قلتها، ان تصل الى الاحياء الاكثر فقرا في المدينة. ففي هذه الاحياء تعيش العوائل التي تحتوي على اكبر عدد من الاطفال. لكن الاطفال هم وثيقة تأمين مع الزمن، حيث ما ان يصلوا الى عمر معين حتى يتم تشغليهم.

فما ان بلغ طه ياسين عمر الاثني عشر عاما حتى اخرج من المدرسة وتم تشغليه في جمع العلب المعدنية لاعادة تصنيعها. يقول: "لا يستطيع والدي ان يعمل، فقد أصيب بالشلل نتيجة الحرب. يتوجب علي العمل لكي اوفر الاموال الى العائلة. نحن فقراء جدا. انا اقوم بجمع علب البيبسي الفارغة وبيعها بسعر ٢٥٠ دينارا عن كل كيلوغرام واحد."

ويضيف: "ابدأ بالعمل في الساعة السادسة صباحا وانتهي في الساعة السابعة او الثامنة مساء. حينما لا استطيع العمل يهلكنا الجوع."

ويستطرد: "لقد التقيت بالبريطانيين مرات عديدة. وقد كانوا لطفاء وقدموا لي الشكولاتة في بعض الاحيان، وفي احيان اخرى اعطوني مالا."

لكن التحسن الامني المضطرد في الاونة الاخيرة جلب معه سيئات بالنسبة الى الاولاد المهووسين في كرة القدم، والذين ينصبون الملاعب اينما وجدوا مساحة مناسبة لذلك. ويتم اقامة المسابقات بين الاحياء على نحو منتظم، بين مستنقعات مياه المجاري والنفايات السامة المتروكة.

ويصدر المجلس المحلي بين آونة واخرى تحذيرا الى عامة الشعب لتجنب التعرض الى هذه المواقع، لكنهم ضحايا المستقبل، مثل ما هو الحال في كل ما يخص الاطفال في البصرة، هم تاريخ يَنتظر ان يُكتب.

فيما يلي قصص لاطفال تبدأ دائما مع الفقر والخوف في بداية الاحتلال. لكن نظرتهم الان اكثر ايجابية بالمقارنة مع ابائهم.

فاضل حسن، ١٥ عاما، عامل في المجلس

"حصلت على عمل في المجلس قبل خمسة واربعين يوما، وانا في غاية السعادة. الحمد لله، سوف تتغير حياتي الان. احصل على ٢٠٠ دولار كل شهر، وهذا اساس جيد لبناء حياتي. كل شيء يسير نحو الاحسن هنا.

"حينما يتقوى المجتمع تأتي التجارة وكذلك الاستثمارات والزراعة.

"لقد ساعدنا البريطانيون. فقد كنا غارقين في مياه المجاري ويغشانا الظلام والامراض قبل ان يأتوا. انا اشعر ان الوضع اصبح اكثر امنا واكثر حرية بمقدار سبعين مرة. وانا احلم بتكوين اسرة وبناء منزل."

كوثر صادق، ١٣ عاما، يتيمة تعيش في ملجأ الزهراء

"عشت هنا منذ وفاة والدي قبل سبع سنوات. لدي سبع اخوات وحينما جاءت الحرب اصبحت الامور مرعبة بالنسبة لنا. لكني ادرس الحاسوب في المدرسة الان واشعر بالامان حينما استمع الى الموسيقى والاناشيد الدينية المفضلة لدي. كما انني اتمتع بالمهرجانات والاحتفالات الاخرى. اريد ان اصبح خبيرة بالحاسوب. "أمل اننا قد تجاوزنا احلك الاوقات.

علي نجم، ١٥ عاما، طالب في اعدادية الكفاح

الامور احسن الان ١٠٠٪. هناك المزيد من الاستقرار، لكن الاشياء السيئة مازالت تحدث. بات بامكاننا الاحتفال والشعور بحرية اكبر من قبل. لكني مازلت خائفا. اريد ان اساعد في جعل هذه المدينة هي الافضل في الخليج.

"حينما فاز العراق بكأس اسيا لكرة القدم، اقمنا احتفالاتنا بالدفوف والاغاني. لكن اعضاء المليشيا اعتقلوني وحلقوا رأسي. لقد منعوا أي شخص من التمتع بتلك اللحظات.

لقد مضى عقد من الزمان او يزيد من الاهمال وهناك الكثير من العمل لينجز هنا. نريد مكتبات ونحتاج الى نواد رياضية ومدارس موسيقى.

غير ان حياة عائلتي قد تحسنت. فبعد العام ٢٠٠٣ عمل والدي في سوق السيارات وقد ابلى بلاء حسنا. لم تكن هناك قيود مثل التي كانت في زمن صدام. لقد تم بناء مدرج للعب، ولكنه بعيد جدا عن المدينة ونحتاج الى المزيد.

"طموحي ان اصبح ضابطا في الجيش. احب بلدي واريد ان اكون مخلصا له. واريد ان ادحر الاعداء في المستقبل."

مهدي عبد الله، ١٥ عاما، عامل بناء

وجدت عملا في البناء منذ ستة اشهر. احصل على ١٣٠ دولارا في الشهر. تركت مقاعد الدراسة مبكرا، لاني اضطررت الى ذلك. ليس لدى عائلتي أي مورد.

"احلم بان يستمر الاستقرار هنا وان يجد الناس عملا وان يعيشوا حياتهم بكرامة. انا لا اطلب ثروة او كنزا. كل ما اصبو اليه هو الكرامة المجردة. اشعر بالارتياح الان لان لدي عملا. اريد ان اتزوج وان اعيل نفسي وعائلتي.

"تعوم البصرة على بحر من النفط. وقد كان لها على الدوام وسائل للحفاظ على الناس فوق الماء (تمنعهم من الغرق). بامكاننا ان نرفعها اكثر فاكثر، ونتحول الى مرحلة جديدة من حياتنا هنا."

نور مناي، ١٥ عاما، طالبة في اعدادية الفراهيدي

"فررنا من منزلنا في حي الشعب ببغداد قبل ثلاثة اعوام بسبب العنف. وقد ظن والدي ان البصرة ستكون اكثر امنا. وقد كانت كذلك باديء الامر، لكن المليشيات خربت الوضع الامني. اما الان فقد بدأ الامر ينعكس نحو الاحسن من جديد.

"بعد شن العملية العسكرية التي أجلت المليشيات (في آذار ٢٠٠٨)، تركني والدي لذهب الى المدرسة بدون ان يصحبني أحد. وكان هذا هو الوضع في السابق.

"لكني لم استطع الذهاب الى المدرسة طوال العام ٢٠٠٦. وصعب علي التفكير حينذاك بانني قد لا اكمل دراستي. لكن والدي وعدني بان الظروف سوف تتغير. وقد تغيرت بالفعل. انا سعيدة للغاية.

"بامكاني الان الذهاب الى السوق وزيارة الاصدقاء، لكن مازلنا نفتقد النوادي الرياضية ودور السينما والمسارح. ارغب في ان اصبح عالمة حاسوب وان اساعد والدي، فهو مهندس وقد اصبح موسور الحال الان."

عمار موسى، ١٢ عاما، بائع رصيف يبيع العلكة والمناديل

"عملت في هذا التقاطع منذ عام ٢٠٠٣ وقد اصبحت الامور افضل بكثير. زاد دخلي واستطيع العمل بامن بدون انفجارات. استطيع ان ابقى هنا من الصباح الباكر وحتى منتصف الليل، في الصيف والشتاء. يمكنني شراء الملابس والطعام.

"اعيش مع امي وابي واخواتي الاربع، كما حصل والدي على عمل يومي. لقد كان من النادر ان يعمل في عام ٢٠٠٧.

"اذا بقي الوضع الامني على ما هو عليه الان، فسوف يأتي السلام الينا جميعا. وعندها ربما احصل على عمل افضل.

محمد منهل، ٩ اعوام، تلميذ مدرسة ابتدائية

"لقد تحسنت حياتي كثيرا مؤخرا. تدعني والدتي العب كرة القدم والتنس ورياضات اخرى مع اصدقائي، حتى وان كانت صالة اللعب بعيدة عن المنزل. ونحن نلعب في الطرقات لساعتين بعد الظهر واستطيع ان افعل أي شيء معظم الاوقات.

غير ان المشكلة الكبرى في حياتنا هي الكهرباء، خصوصا في الليل. نحن نحتاج اليها في الدراسة ومشاهدة قنوات الرياضة على التلفاز. لقد كان هناك تحسن ضئيل، لكننا نحتاج اليها على مدى ٢٤ ساعة، وليس لست الى عشر ساعات التي نحصل عليها الان. اريد ان اصبح مهندسا في يوم من الايام لكي اصلح الكهرباء.

"قبل عام ٢٠٠٧ حبستني امي في المنزل بسبب الوضع الامني في البصرة. كما انها لم تدعني حتى ان اذهب الى المدرسة، ولم استطع اللعب خارجا ابدا. وهي تقول ان الكثير من الاطفال اختطفوا في البصرة. لكن كلانا يشعر بالارتياح اكثر الآن.

"وقد ذهبت في الصيف الماضي الى سوريا لقضاء العطلة. وفي ايام الجمع نذهب الى المتنزه او الى النهر. غير ان مدرستي ليست جيدة. فهي قديمة ومتهالكة ونحن بحاجة الى تجهيزات وطرق تدريس جديدة."

صبيحة احمد، ١٢ عاما، منظمة الزهراء للايتام

"اتيت الى هنا قبل ثلاثة اعوام، بعد ان توفي والدي. وقد عشت حياة طبيعية. احب مدرساتي، وهن في غاية اللطف معي وجيدات في تدريسهن. انا ادرس في مدرسة الزهراء الابتدائية وهم ينظمون الكثير من الاحتفالات، مع اداء مسرحي ومعارض فنية. اريد ان اصبح محترفة موسيقى في يوم من الايام.

اوس فؤاد، ١٥ عاما، طالب في اعدادية الكفاح

"كانت الامور مأساوية هنا قبل عام ٢٠٠٣. فقد عشنا في الجبهة الامامية لثلاثة حروب وعانينا اكثر من أي المحافظات العراقية الاخرى. لقد عشنا في فقر مدقع. وكانت هناك مشاكل في القطاع الصحي والقطاع التعليمي ولم يكن بامكاننا تحمل نفقات الذهاب الى المدرسة. وقد حصل والدي على عمل في جامعة البصرة حيث كان راتبه عشرة دولارات في الشهر فقط.

"لدي ثلاثة اخوة واختين. وقد تركتنا امنا بسبب ظروفها. لكن بعد عام ٢٠٠٣ حدث تحول في حياة عائلتي. اصبح والدي معاون عميد احدى الكليات في جامعة البصرة، ويصل راتبه الان الى الفي دولار في الشهر. وقد عدت الى المدرسة وكذلك عاد اليها اخواني واخواتي.

بإمكاني الآن أن العب كرة السلة، التي احبها كثيرا، وبامكاننا الولوج الى شبكة المعلومات الدولية (الانترنت). كما نستطيع التفكير بالسفر.

"وقد تحسنت الامور مرة اخرى عام ٢٠٠٨. يمكنني الان ان ارتحل في سفرة مدرسية والبقاء خارج المنزل حتى الساعة العاشرة او الحادية عشرة مساء. اريد ان اصبح طبيبا حتى اعتني بالاجيال القادمة من اطفال البصرة، فهم يستحقون الافضل."

حامد جاسم، ١١ عاما، عامل خردة

"اعمل مع اطفال اخرين لكي نكسب بعض المال من اجل عوائلنا. توفي والدي نتيجة المرض عام ٢٠٠٥. ويعمل معي ايضا اخي الاصغر واسمه علي ويبلغ تسعة اعوام من العمر. نبدأ العمل في الساعة الخامسة من صباح كل يوم، لاننا اذا نهضنا للعمل باكرا فسوف نجد المزيد من الخردة لنجمعها. نحن بالكاد نستطيع ان نوفر طعامنا.

"نحن نعيش في مبنى مدمر تابع للامم المتحدة. ليس هناك من جدران في هذه البناية، لكننا مع ذلك في حال افضل من حالنا عام ٢٠٠٧. واحصل على دولار واحد او دولارين كل يوم، لكن الحياة بدأت تسير نحو الافضل. فقد تحسن دخل عائلتي، وإذا عملت بجد اكبر احصل على ايراد اكثر. اريد ان اعمل في المجلس في المستقبل، او ان اصبح جنديا.

"السلام هو الكنز الاثمن في حياتي. انه يعني اننا يمكننا ان نعيد بناء الاشياء، وان نلعب في بعض الاحيان مع الاصدقاء."

عن الغارديان

اوباما والنزاعات الدولية.. ما خفي كان أعظم

نجح الرئيس الأمريكي باراك أوباما في أول مائة يوم من حكمه في تحسين سمعة الولايات المتحدة في الخارج، لكنه غالبا ما ستثير المائة يوم القادمة أمامه سلسلة من التحديات الضخمة في مجال السياسة الخارجية، سوف تضطره إلي اتخاذ قرارات عسيرة تجاه النزاعات الراهنة والمرتقبة.

فإلى جانب احتمال تمخض الأزمة الاقتصادية عن تداعيات تفوق تقديرات البيت الأبيض، وكذلك آثار أنفلونزا الخنازير، سوف يضطر الرئيس أوباما إلى مواجهة صعوبات جمة أغلبها في الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا، دون استبعاد أن تتشعب الأزمات لتتجاوز حدود ما يسمي (يورآسيا" (أوروبا وآسيا.

فمثلا، لا يستبعد قيام كوريا الشمالية بإجراء تجربة نووية ثانية، حيث طردت خبراء الأمم المتحدة في بداية أبريل مما يتسبب في سلسلة من التوترات في شمال شرق آسيا، وفي اختبار التحالف الأمريكي- الياباني، وتقوية ساعد الجناح اليميني في واشنطن الذي يعتبر عزم أوباما على الحوار مع خصوم البيت الأبيض على أنه "ساذج وخطر".

لقد أنقضت أول مائة يوم دون أحداث كبرى، وهنأ الجميع أوباما على وعده بالتغيير والتحاور، وسط مناخ من الأمل والتحفظ والتشكيك، ليساعده كل ذلك على بدء المائة يوم التالية من موقف سياسي قوي، والاعتماد على تأييد شعبي واسع لسياسته الخارجية، حسبما تكشف حملات استطلاع الرأي.

لكن كل هذا لا يحول دون اضطرار الرئيس الأمريكي إلى مواجهة مصاعب خارجية جمة.

وربما تكون الأزمة الأكثر إلحاحا، والتي أعرب أوباما في الأيام الأخيرة عن قلقه "البالغ" تجاهها، هي الوضع في باكستان حيث وسعت طالبان نطاق تحكمها في مناطق القبائل في الشمال الغربي بما يشمل وادي سوات وضواحي تبعد مائة كيلومتر عن العاصمة الباكستانية إسلام أباد.

فيكاد ضعف حكومة الرئيس علي زرداري وتردد الجيش الباكستاني في وقف زحف طالبان إلى باكستان، يثير إحساسا بالجزع في صفوف إدارة الرئيس أوباما وخاصة وزارة الدفاع التي تخشي كل الخشية احتمال فشل هذه الدولة النووية في التحكم في زمام الأمور.

والآن وقد ضغطت الولايات المتحدة على الجيش للرد على الهجمات، وواصلت القوات الأمريكية غاراتها على أهداف تشتبه في انتمائها لتنظيم القاعدة وطالبان، كثف البيت الأبيض ضغوطه على الكونغرس أيضا للموافقة على تخصيص نحو ملياري دولار بصورة مساعدات عسكرية وإقتصادية لباكستان.

ثم نأتي إلى العراق في نفس الوقت، حيث وعد أوباما بسحب جميع القوات الأمريكية المقاتلة بحلول ٢٠١١. لكن الأوضاع في العراق تتقهقر، ليصبح شهر أبريل أكثر الشهور المنقضية منذ مارس العام الماضي عنفا ودموية في العاصمة بغداد.

فإذا أستمر العنف أو تصاعد في الشهور القادمة، وإذا لم تحل سلسلة من المشاكل الحاسمة ومنها التوتر القائم حول مصير كركوك، وفشل الحكومة المركزية أو رفضها لاحتواء الصحوات ، وتفعيل آليات تجريد القوانين من الشوائب البعثية، إذا لم يحدث كل ذلك ربما سيضطر أوباما إلى إعادة النظر في خطة سحب القوات، مع المجازفة بإثارة ثائرة الديمقراطيين القلقين من التصعيد العسكري في أفغانستان وباكستان. كما أن باراك أوباما يواجه مشكلة فورية أخرى ستحمله على اتخاذ قرارات عسيرة أيضا عندما يزوره رئيس حكومة إسرائيل اليميني بنيامين نيتانياهو في واشنطن في منتصف مايو. ومن الواضح أن أوباما ونيتانياهو يحاولان تحاشي أي مواجهة علنية، ومع ذلك فسيكون من الصعوبة بمكان التمويه على خلافاتهما العميقة.

فإذا وقعت قطيعة بينهما سيضطر أوباما إلى مواجهة تحديات كبيرة ليست عند الجمهوريين فحسب، بل الديمقراطيين المقربين من القيادات اليمينية لجماعات الضغط الإسرائيلية. أما إذا ظهر أوباما بمظهر المتهاون مع نيتانياهو خاصة حول القضية الفلسطينية، فسيجازف حتما بخسارة الكثير من مكاسبه في الدول الإسلامية طيلة أيامه المائة الأولى.

عن وكالة آي بي أس